الفصل الأول
ولادته ونشأته

ولد الشيخ أحمد ياسين في قرية الجورة الفلسطينية في عام ١٩٣٦م وكانت عائلته في ذلك اليوم يسكنون بيارتهم التي تقع على بعد كيلومترين من شمال القرية وكان الفلاحون يقضون معظم أوقاتهم حين نزول الفاكهة أو الخضار في البيارات وذلك لمراعاتها والإشراف على جمعها وربها.

في مساء ذلك اليوم عانت الأم المخاض المؤلمة ولكنها تحاملت على نفسها لدرجة أن أولادها لم يشعروا بوجع أمهم فقد كان عيباً أن تصرخ المرأة وأن تسمع صوتها للآخرين، وقد ساعدها زوجها إذ لم تحتاج إلى قابلة وفي الصباح أيقظ الوالد ولده الأكبر الذي أصبح يسمى فيما بعد أبا نسيم وطلب منه أن يذهب إلى القرية لإحضار بعض الأغراض والحاجيات اللازمة وكان في العادة يذهب الأب ولكن عندما سأل الولد عن السبب ولم يكن يدري أن أمه قد وضعت غلاماً تلك الليلة أخبره والده أن أمه قد ولدت وأن الله رزقهم بولد ولما كان من عادة الصغار الاستعجال على الأمور فقد بادر الابن إلى السؤال ما إسمه يا والدي؟ فقال له: إن أمك تود أن تسميه أحمد، وأسباب التسمية أن الأم كانت قد رأت رؤيا في منهامها أن الله رازقها بولد خير وطلب منها أن تسميه أحمد[١]. من هنا لم تتردد في تسميته بهذا الاسم على الرغم من أن الوالد لم يحب ذلك الاسم إذ كان يود أن يسميه اسماً آخر وذلك لخلاف شخصي بينه وبين رجل آخر تصادف أن إسمه أحمد.

كان والد الشيخ أحمد رجلاً محترماً له شأن ليس في عائلته فحسب ولكن في القرية بشكل عام إذ كان يرقى إلى منصب أكبر من المختار يسمى «أعظوي» وهذه التسمية نابعة اختيار الرجل ليكون مندوباً عن القرية في التجمعات أو القوى السياسية أو الاجتماعية الهامة وكان من الرجال الميسورين إذ زاد ما يملكه في قريته في مناطق متناثرة أكثر من ٩٥ دونماً وكانت هذه المساحات مزروعة بيارات برتقال وكروم وعنب وقد توزعت هذه الأراضي في عسقلان وفي بئر أبوجرموع وفي منطقة صور.

ويقول أبو نسيم[٢]: «كانت حالتنا الاقتصادية ممتازة وكنا من أغنى أهل الجورة تقريباً وكنا نبيع البرتقال في المجدل إذ كان والدي يرسلني لبيع البرتقال وكنا نبيع

"السل"[٣] بقرش ونصف.

كان والد الشيخ رجلاً مزواجاً إذ تزوج من أربعة نساء، تزوج الأولى فلم تنجب إلا بنتاً فتزوج بأن بدلها مع رجل آخر زوجه أخرى بعد أن ماتت أمها[٤] وكانت زوجته الأولى أكبر منه في السن وذلك لأنها تزوجت من أخيه الأكبر ولما كان من عادة الناس أنهم يخافون أن تخرج الزوجة بحصة من أرض زوجها كان يتم تزويجها لأخيه وذلك حفاظاً على أملاك العائلة وهذه كانت عادة الناس في ذلك الوقت وهذا الذي أدى إلى نشر ما يسمى «بزواج الأقارب» خلافاً للسنة النبوية المطهرة التي يطلب فيها الناس بالتباعد وكان الناس يتبعون هذا الأسلوب وذلك لكي يحافظوا على ثروات العائلة من التبديد من خلال انفراد بناتهم بحصصهن من تركة العائلة أو الوالد.

عندما ولد الشيخ أحمد كانت صحته ممتازة ونموه طبيعياً وكان نشيطاً وذكياً، ومرحاً وخفيف الحركة، مات والده وهو لم يتجاوز عمره الثلاث سنوات فترك ذلك تغييراً كبيراً في نمط حياة الأسرة إذ بدأت الأسرة في الاعتماد على الولد الأكبر في إعالتها وكان أبو نسيم هو الذي بدأ يتبوأ مكانة رب الأسرة مع صغر سنه إذ لم يتجاوز في ذلك الوقت أحد عشر ربيعاً.

هذا الموت المبكر لوالده اضطره مع اخوته إلى التعاون فيما بينهم لتحصيل رزقهم وكانت فلسطين آنذاك تزخر بمعسكرات الاحتلال الانجليزي الذي حشدها في المنطقة ليجعل منها نقطة إنطلاق ضد الوجود الألماني في الشرق العربي وشمال أفريقيا لأن الحرب العالمية الثانية كانت أنذاك على أشدها، وكان بالإضافة إلى الوجود الإنجليزي هناك العديد من قوات الحلفاء وعلى رأسها القوات الاسترالية وقد كانت تتلقى إمدادات كبيرة وكان أفرادها أغنياء وفي هذه المرحلة نشطت الصناعات المحلية والزراعية وذلك لأن الطرق بين المنطقة وأوروبا مغلقة لوجود الأسطول الألماني والغواصات البحرية التي كانت تلاحق سفن الحلفاء فاضطرت الجيوش إلى الاستعانة بالمنتجات المحلية.

في هذه المرحلة كان الناس يقومون ببيع منتجاتهم على معسكرات الانجليز

والحلفاء ولما كان الجو في فلسطين ليس جواً حربياً لعدم وجود ساحات المعارك فقد كانت أقرب إلى منطقة يستجم فيها الجنود والضباط الخارجين من المعارك وكان الأولاد والأطفال يقومون ببيع الحلويات والفاكهة على المعسكرات. كان أحمد الذي توفي والده يشارك إخوانه في هذه النشاطات وذلك حرصاً منه على المساهمة في إيراد دخل الأسرة وقد كان أحمد محبوباً من قبل جميع المترددين على المعسكر من أقرانه وحتى من الجنود وقد كان لخفة دمه وحيويته يسمونه «عبد الله بلبل»[٥].

وتذكر عمته وهي تقارن بينه وبين أخيه بدر الذي يعد واحداً من رجالات اليسار في قطاع غزة وتفسر التناقض في الاتجاه الفكري والديني أن أهل الشيخ قد أحضروا له ولأخيه بدر وهما صغيران «زوجين من الأحذية» ولفرحتهما الكبيرة بذلك قاما بالاستحمام ولبس الملابس النظيفة وخرجا إلى المسجد وهناك وقع ما لم يكن في الحسبان، إذ فقد حذاء بدر ولكن أحمد وجد جزمته وعاد بدر يبكي إلى البيت فقد كانت عزيزة عليه وتتذكر أن الأطفال كانوا يعتنون عناية كبيرة بالجزم وخاصة في الأيام الأولى لدرجة أنهم يمسحون عنها الغبرة كل لحظة وتقول عمته قبل موتها: أن جذور هذه الحادثة هي التي تركت آثارها على نفسية بدر فأصبح ينفر من المساجد والنشاطات التي تدور فيها بما فيها الصلاة وقراءة القرآن وهذا الذي ترك أثره عليه في سلوكه وفكره إذ أصبح فيما بعد من أركان الفكر اليساري في القطاع على النقيض تماماً من الشيخ أحمد الذي أصبح فيما بعد من أحد أبرز رجالات الدعوة الإسلامية ليس في القطاع فحسب ولكن في فلسطين كلها إن لم يكن في العالم أجمع[٦].

كان الشيخ أحمد وهو صغير السن يكنى في العائلة وبين أقرانه باسم آخر وهو «أحمد سعده» وكان ذلك بعد موت والده وذلك نسبة إلى أمه سعدة عبد الله الهبيل وذلك كما يقول مؤلف كتاب الشيخ أحمد ياسين الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي تميزاً له عن الأحامد في عائلته[٧].

عندما بلغ أحمد سن الدراسة التحق بمدرسة الجورة الابتدائية وكانت تقع

بالقرب من مقام سيدنا الحسن بن علي في الشمال الغربي من القرية وكان الشيخ في سني حياته الأولى نشيطاً في الدراسة إذ لم يتجاوز ترتيبه في سنوات دراسته في هذه المدرسة الخمسة الأوائل[٨].

في هذه الآونة كانت الحرب العالمية الثانية تلفظ أنفاسها الأخيرة وبدأت القضية الفلسطينية تبرز من جديد وتؤثر مباشرة بعد الهدوء الذي ساد أثناء الحرب نتيجة لقيام بريطانيا باتباع سياسة التهدئة والتملق للعالم العربي، وعادت بريطانيا لتتلاعب بالمواقف والألفاظ وتتبع سياسة ذات وجهين تجاه العرب واحدة مؤيدة تأييداً مطلقاً لليهود بفعل الضغط اليهودي الحاصل من داخل بريطانيا ومن داخل مجلس العموم البريطاني بالذات ثم من الحكومة الأمريكية التي بدأ اللوبي الصهيوني يظهر ضغوطه بوضوح عليها والثانية تتبع سياسة التهدئة تجاه العرب لأن بريطانيا أدركت أن مواقف الكثير من البلاد العربية آنذاك تتأثر بموقفها من القضية الفلسطينية وأرادت بريطانيا التي كانت تخوض الحرب ضد ألمانيا أن لا تدفع الجانب العربي إلى الثورة ضدها والوقوف مع دول المحور الأمر الذي كان سيؤثر على استراتيجية الحرب العالمية لصالح ألمانيا لأن القواعد البريطانية الموجودة لن تنعم بالراحة ولن تستطيع أن تؤدي المهام الملقاة عليها.

مع انتهاء الحرب بدأت بريطانيا تتبع سياسة جديدة وهي سياسة التصادم والإخلال بوعودها التي قطعتها على نفسها في الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩م الذي تعهدت فيه أن تمنع الهجرة بعد خمس سنوات وأن تمنع بيع الأراضي، ثم تحاول أن تقيم حكومة في فلسطين برضاء الطرفين، وبدأت تحت الضغوط الأمريكية في إدخال مائة ألف يهودي إلى الأراضي العربية الفلسطينية مما أثار العرب مرة أخرى وبدأت المناوشات بين الطرفين منذ عام ١٩٤٦م إذ زادت هذه المناوشات مع اقتراب الموعد الذي كان على بريطانيا أن تغادر فيه فلسطين وشملت جميع السكان الفلسطينيين القادرين على حمل السلاح إذ كان الناس يقومون بشراء السلاح والذخيرة على حسابهم الخاص وكان حمل السلاح شرفاً وطنياً وعائلياً

وقبلياً وقد كان الرجل يبيع مصاغ زوجته ليشتري سلاحاً للمشاركة وعندما لم يجد كان يقوم ببيع قطعة من أرضه أو يقترض ذلك من جيرانه.

ثم دخلت الجيوش العربية إلى جانب سكان فلسطين لنجدتهم ولكنها اتبعت أسلوباً لم يكن مقبولاً لدى عامة السكان إذ قامت بجمع السلاح من الغيورين على الاشتراك في المعارك ووزعته على بعض من رأتهم مناسبين واحتفظت بالباقي لديها وهذا ولد فجوة نفسية بين المقاتلين العرب في كثير من الأحيان وبين الأهالي.

كان الشيخ آنذاك صغير السن ولم ينتبه تماماً إلى ما يجري غير أنه يرى الشباب وهم يتمنطقون بالبنادق والمسدسات مما كان يثير الحماسة في نفسه كغيره من الصغار وكانت أجواء الحرب تسود ويسود معها التوتر النفسي.

تدخل الجيش المصري مع غيره من الجيوش العربية بناء على قرار جامعة الدول العربية بدخول الجيوش العربية عام ١٩٨٧م وواصل المصريون تقدمهم بدون صعوبة كبيرة إلى داخل فلسطين المحتلة ووصلوا إلى مدينة المجدل وواصلوا تقدمهم ولكنهم في نفس الوقت كانوا يعدون أنفسهم للدفاع عن الأراضي التي اكتسبوها والمدن التي دخلوها فاجتمعوا مع كبار رجالات المجتمع والمخاتير في المنطقة وطلبوا منهم أن يخرج الناس إلى الكثبان الرملية المحاذية للبحر ويتركوا المدن تحسباً لأن تقوم المدفعية الصهيونية والطيران بقصف المدن إذ تمركزت الجيوش حول البلدة وفي وسطها، هنا تصدى المختار العبد حسن وسأل لماذا نخرج إلى الرمال هل هذا من قلة الرجال أم من قلة السلاح؟ ولكن لم يجبه أحد.

سارت الأمور من سيء إلى أسوأ واشتدت المعارت ووصلت إلى مدينة عسقلان فقررت العائلة ترك البلدة مؤقتاً والخروج إلى مدينة غزة المجاورة.

وقررنا أن ننقسم إلى قسمين الأول: مكون من أبو نسيم وبعض أفراد العائلة معه حيث وجدوا قارباً فوضعوا فيه المواشي وبعض المأكولات والحبوب وفعلاً انطلق أبو نسيم إلى أن وصل منطقة الشاطيء حالياً في القطاع أما الشيخ أحمد فقد انطلق هو ووالدته وأخيه أبو علي مشياً على الأقدام إلى غزة مروراً

بالشاطيء الرملي وكان الشيخ أحمد في رحلته هذه يبلس «حلس» وهو مكون من فروة ماعز أو من صوف خشن وكان الجو جاراً جداً إذ كان الجو صيفاً خرجوا ولم يأخذوا معهم الكثير من القوت فكانوا يأكلون مما كانوا يجدونه في البيارات والحواكير على الطريق إلى أن وصلوا إلى مدينة غزة وهناك التقت العائلة بالقرب من سكن أبو حصيرة ثم انتقلوا إلى أحراش منطقة الشيخ عجلين ولكن لما كانت المراكب الإسرائيلية تهاجم جموع اللاجئين على الشاطىء ليلاً قرروا ترك المكان والاتجاه نحو الجنوب إلى وادي غزة حيث المكان هناك مناسب أكثر من الناحية الأمنية وكان في تلك المنطقة مركز لوكالة الغوث التي كانت توزع المعونات على اللاجئين والخيام واستوطنت العائلة منطقة كروم أبو مدين.

وكانت وكالة الغوث آنذاك توزع كميات كبيرة ومتنوعة وجيدة من الأكل وكان الهدف من ذلك ليس خدمة اللاجئين رغم أن ذلك من المهام الأساسية ولكن لكي لا تدفع الناس للعودة إلى البيوت والأراضي في داخل فلسطين المحتلة ولئلا يؤدي ذلك إلى مكوث هؤلاء الناس هناك.

بعد مرور حوالي ستة إلى سبعة شهور في هذه المنطقة بدأت أمور العائلة تستقر وعمل أخوة الشيخ أحمد في أعمال متنوعة فعمل أبو نسيم وهو الأخ الأكبر في صيد السمك وأبو علي الأخ الثاني في النسيج وكان الشيخ أحمد لا زال صغيراً ولكنه مع ذلك أصر أن لا يكون عاطلاً فقرر أن يشارك كما كانت عادته وهو أصغر من ذلك فالتحق بعمل لدى مطعم لآل أبو حصيرة لمدة ستة شهور كان مقر المطعم على شاطيء البحر وكان المطعم بدائي الأثاث والمبنى ولم يزد عن عريشة يجلس فيها الزبائن مع بعض الطاولات والكراسي أما مكان إعداد الطعام فكان بيت زينقو مع بعض الأعمدة الخشبية التي تثبتها.

طلب الشيخ من إخوته أن يعاونوه في عمل مطعم في مكان قريب من المطعم الذي يعمل فيه وتجاوب معه إخوته فاشتروا له الأثاث وفعلاً عمل الشيخ لعدة شهور وهو يخدم الزبائن ويحقق بعض الأرباح الصغيرة إلا أنه بعد مرور الوقت شعر بالحنين للكتب الدراسية فقرر العودة إلى الدراسة وكانت المدارس آنذاك

قد بدأت باستيعاب الطلاب الجدد فطلب من أخيه الأكبر أن يبيع له أغراضه فوافق أبو نسيم لأنه لم يرد أن يحرمه من فرصة التعليم التي حرمها هو وأخيه أبو علي ثم كان أبو نسيم يتعاطف مع الشيخ أحمد تعاطفاً شديداً نظراً لأنه ينظر إلى نفسه وكأنه الأب لهذه الأسرة.

أخذ أبو نسيم الشيخ أحمد إلى مدرسة الكرمل الإعدادية وهناك واصل حياته الدراسية من جديد بعد انقطاع دام أكثر من سنة تقريباً.

ويقول مؤلف كتاب الشيخ أحمد ياسين الظاهرة المعجزة أن أول مدرسة انضم إليها الشيخ هي مدرسة الإمام الشافعي وهي المدرسة الرئيسية في غزة وكانت تدرس على فترتين فترة الصباح لطلبة مدينة غزة والمساء للطلاب اللاجئين ولكن لكون المسافة بين معسكر الشاطىء ومدرسة الإمام الشافعي بعيدة نسبياً فالأرجح هو أن يكون قد درس الابتدائية في مدرسة الكرمل كما ذكره أخوه الأكبر لأنها أقرب للمعسكر.

أنهى الشيخ تعليمه الابتدائي عام ١٩٥٢م ثم أكمل الإعدادي عام ١٩٥٥م في نفس المدرسة وبعد أن دخل المرحلة الثانوية انتقل إلى مدرسة فلسطين التي كانت تبعد حوالي كيلومتر واحد عن سكنه وكانت مدرسة فلسطين من ألمع المدارس الثانوية في القطاع تقريباً، وكانت الحياة السياسية في تلك المرحلة في أوجها إذ كانت المشاريع السياسية لتوطين اللاجئين ولحل المشكلة الفلسطينية في قمتها وكانت المدرسة الثانوية في تلك المرحلة تعكس أوضاع المجتمع الفلسطيني الغزي كله، إذ امتدت إليها الحركات السياسية والدينية وكانت حركة الإخوان المسلمين من أنشط الحركات في القطاع وكانت تضم قطاعاً كبيراً من الطلاب لدرجة أن معظم العرفاء في الفصول الذي كان يجري انتخابهم انتخاباً كانوا من المنتمين للحركة الإسلامية.

عاش الشيخ سني حياته الشبابية الأولى في هذا المخضم الفكري والسياسي وكان يتردد على مسجد أبو خضرة لحضور المحاضرات التي كان يلقيها وفود الإخوان المسلمين التي كانت تأتي إلى القطاع وكان الشيخ الأباصيري والشيخ

الغزالي لهم حضور ملحوظ في هذه المرحلة الزمنية.

وكان للحركة الإسلامية بين الشباب برامج تربوية متكاملة، ثقافية ورياضية ولذا فقد تعود الشباب على ربط النشاط الرياضي بالنشاط الثقافي، وبحكم سكن الشيخ على شاطىء البحر (الذي أصبح مخيم الشاطيء) فقد شكل الشاطيء أهم ملاعب صباه.

هذه النشاطات لفتت نظر الشيخ إلى الحركة الإسلامية التي لاقى الانتماء إليها هوى في نفسه فقرر عام ١٩٥٥م إعطاء البيعة بعد أن مر في المرحلة الإعدادية المطلوبة للتأكد من صلاحه وتقواه وصدق نواياه في خدمة الإسلام والمسلمين ودخل في أسرة واحدة مع عبد الرحمن بارود الذي أصبح فيما بعد شاعراً وحصل على شهادة الدكتوراة في اللغة اللعربية من مصر.

وقد كان انتماءه للحركة مبنياً على إيمان عميق بهذا الدين وحماس منقطع النظير ورغبة في تفعيل أبناء مجتمعه وتقريبهم نحو الإسلام خاصة وهو يرى أن الكثير منهم قد زاغوا عن الطريق التي أرادها الله لعباده والتحقوا بالحزب الشيوعي الفلسطيني والتيارات القومية المعادية للإسلام في النهاية، لقد أراد أن يكون لبنة بناء صحيحة في مجتمعه تقوي نسيجه وترفع صرحه فانتمى إلى الإطار الصحيح، الإطار الحق الذي يوصله إلى مرضاة الناس ومرضاة الرب أولاً.

الحادث

كان شاطىء البحر هو المكان الملائم بالنسبة لشباب معسكر الشاطيء لإقامة النشاطات الرياضية وممارسة الألعاب بدون معارض فالشاطيء لا يوجد عليه كازينوهات أو مقاهي أو فنادق ولكنه منطقة مشاع عامة لكل سكان القطاع، من هنا فقد تحرك عليه الشباب المسلم بحرية تامة وباستقلالية وبدون تدخل من أحد.

وكان من أهم فقرات النشاط الرياضي الذي يمارسه شباب الحركة الإسلامية السباحة وكانوا يستخدمون صخور الشاطيء كمنصات للقفز من فوقها إلى

مياه البحر الصافية والهادئة في معظم الأحيان وكانت هناك تمارين أخرى لبناء الأجسام من هذه التمارين أن يأخذ عدد من الشباب على الشاطيء وضعاً رياضياً على هيئة الركوع ويصطف الآخرون ليقفزوا من فوق ظهورهم بعد أن يستخدموا أيديهم في الارتكاز دافعين بأجسامهم وأرجلهم إلى الهواء وكان المرحوم عبد الله صيام قائد معركة خلدة في معارك بيروت ١٩٨٢م هو الذي يقوم بتدريب الشباب في معظم الأحيان[٩].

وقد وقع الحادث للشيخ أحمد عام ١٩٥٢م إذ في ذلك العام أعيد افتتاح مكاتب الإخوان وكانت النشاطات في أوجها خاصة بعد قيام الثورة المصرية التي كانت على علاقة طيبة مع الدعوة الإسلامية في بداية قيامها ويبدو أن ذلك كان مخططاً من قبل عبد الناصر لتحييد دعوة الإخوان ونزعها من صفوف الأعداء في حالة انحرافه عن الخط الصحيح للإدارة السياسية للبلاد.

في يوم الحادث أخذ الشيخ أحمد كتابه ليقرأ كالعادة إذ كان الشاطيء ليس مكاناً للعب ولكنه مكاناً للقراءة أيضاً إذ أن بيوت المعسكرات التي وزعتها وكالة الغوث كانت بالكاد تتسع لأهلها نياماً أما إذا أرادوا أن يمارسوا أي شيء غير النوم والأكل فالشارع أو الشاطيء هما المكانان الوحيدان لذلك.

خرج الشيخ كالعادة فوجد أصدقاءه فؤاد عيسى أبو دية في انتظاره فاتجهوا إلى الشاطيء والواضح أن أهل الشيخ لم يعرفوا بأن النشاطات الرياضية التي يمارسها ولدهم كانت منظمة ويشرف عليها تنظيم سياسي نشيط في ذلك الوقت، وصل الأخوة إلى الشاطيء وهناك بدأت التمارين الرياضية وتنامت روح العطاء في الصحبة الإسلامية وأخذ الجميع يتنافسون ويحاولون اكتشاف الأفراد القادرين على التحمل أكثر من غيرهم وكان التمرين الذي يتنافسون في تنفيذه هو الوقوف على الرأس مع رفع الأرجل إلى أعلى مستقيمة وتثبت هذا الوضع بالأيدي وكانت القدرة تقاس بمن يستطيع أن يصمد زمنياً أكثر من غيره، هنا تقدم الشيخ أحمد وقال: أستطيع أن أقف على هذا الوضع ساعة كاملة بدون تعب وكانت هذه الحركة من حركات الجمباز التي كان يؤديها الشباب لإثبات مرونة

أجسامهم، هنا تقدم الشيخ ونفذ التمرين ومكث فترة وهو على الوضع سالف الذكر ويبدو أنه لم يعرف تماماً العواقب الوخيمة التي يمكن أن تنتج عن بذل أي مجهود يزيد عن الطاقة، إذ أنه أصر على المكوث أكبر فترة ممكنة ولم يتنازل عن إثبات فرضيته إلى أن وقع على الأرض فجأة فحاول أصحابه أن يوقفوه ولكنهم وجدوا أن جسمه قد تصلب تماماً ولا يستطيع القيام أو القعود فأحضره صديقه عبد الله يونس الذي يبدو أنه قد انضم إلى الجوقة في مرحلة لاحقة وكان سنه آنذاك حوالي ستة عشرة عاماً فقام أخوته بعمل تدليك موضعي له إلا أن ذلك لم يفد فأخذوه إلى عيادة الوكالة التي كانت تقع إلى شرق المخيم في منطقة الرمال.

وتبين أن النخاع الشوكي للشيخ قد أصيب وأن هناك تلف في فقرات الرقبة إذ تداخلت مع بعضها البعض وبقي الشيخ على ذلك فترة شهرين كاملين لم يستطع أثنائهما الحراك فكان أكله وشربه وقضاء حاجته تتم كلها بمعاونة أهله (إخوته وأمه).

هذا الحادث دفع والدته إلى العطف عليه أكثر من إخوته نظراً للحالة التي وصل إليها فكانت أكثر أهله على الإصرار على علاجه، واستطاع الشيخ بفضل من الله أن يعاود الحركة بعد تدليلك استمر فترة طويلة إلا أنه مع ذلك فإن مشيه وحركاته كانت كلها غير طبيعية إذ كان لا يستطيع أن ينقل رجله كغيره من الشباب ولكن كانت حركتهما أقرب إلى الجر فكان ينثر التراب في كل خطوة أمامه[١٠].

لم يفت هذا الحادث في عضد الشيخ ولم يقعده أو يهبط همته ولكن حاول أن يتغلب على هذه المشكلة التي كانت أقرب إلى العاهة المستديمة التي لازمته حتى الآن فقد اتخذ من الضعف نقطة إنطلاق نحو القوة إذ واصل دراسته حتى أنهى المرحلة الإعدادية عام ١٩٥٥م والثانوية عام ١٩٥٨م.

لم يستطع الشيخ أحمد أن يكمل تعليمه الجامعي أولاً لضيع ذات اليد إذ أن إخوته ما كانوا قادرين على إرساله إلى الجامعة لأن ذلك يكلف كثيراً ثم إن العائد

المادي الذي كانوا يتقاضونه لم يكن كبيراً ومصاريف الجامعة كانت تحتاج إلى تكاليف باهضة، ثم إن الكثير من الأسر كانت تعتقد أن الحصول على الثانوية العامة كان يعد نهاية المطاف بالنسبة للدراسة خاصة لأن الحاصلين على هذه الشهادة كانوا يعملون مباشرة بعد تخرجهم في سلك التدريس سواء في القطاع أو حتى كانوا ينتدبوا للعمل في مصر في سنوات معينة، ثم إن ظروف الشيخ الصحية لم تكن تشجع على السفر أو السكن بعيداً عن عائلته لأنه بحاجة إلى رعاية دائمة، لذا فقد فضل الشيخ البقاء في القطاع على أن يبحث عن عمل في سلك التدريس يخفف فيه عن كاهل إخوته ويفتح له بيتاً وأسرة جديدة ولكنه مع ذلك أصر على أن لا يكون العلم فقط مصدره الجامعة إذ حاول طيلة الوقت الاستزادة فكان يشتري الكتب ويدرسها وقد شجعه انتمائه للحركة الإسلامية أن يكثر من قراءة أمهات الكتب الدينية إذ أن حركة النشر والمطبوعات الإسلامية كانت آنذاك ضعيفة جداً وما كان متوفراً منها فقد للعلماء القدامى.

واصل الشيخ حياته ودراسته منذ الحادث الذي وقع له تقريباً وهو في الصف السادس الابتدائي على الرغم من وضعه الصحي إذ صار الشيخ يسير على أصابع قدميه وينقل خطواته بصعوبة وفي كل خطوة كان يغرز قدمه في الأرض قدر الإمكان حتى يحفظ توازنه، لذا كان ينثر الرمل في كل خطوة ولو سار على أرض صلبة لكان يقع على الأرض.

أما يداه فقد تصلبت أصابعهما مع التواء في الكفين، لذا لم يستطع الشيخ الإمساك بالقلم إلا بصعوبة شديدة[11].

لو وقع هذا الحادث لشاب آخر ولو أصبح أي شاب على هذا الوضع لما جازف بالذهاب إلى المدرسة وذلك خوفاً من مواجهة المجتمع حياء وضعفاً لأن منظره كان يثير في نفس الشباب الهابط آنذاك (وما كان أكثرهم) السخرية والضحك والاستهزاء، إلا أنه استمر يتردد على المدرسة بنفس الواثق من قدرته وبثقة القادر على تحدي الصعاب، ومن الأكيد أنه تعرض لكثير من مواقف السخرية سواء في فصله أو في طريق ذهابه إلى المدرسة أو عودته منها إلا أنه وضع كل ذلك جانباً

راغباً في مواصلة حياته الاعتيادية ولم يجعل ذلك عقبة في ممارسة حياته الطبيعية كفرد يشارك في بناء المجتمع، ومن المؤكد أيضاً أن ضغط المجتمع وسخريته لم يؤثر في عزيمة أحمد وذلك لأنه استطاع أن يجتاز كل سنوات الدراسة بنجاح حتى تخرج من الثانوية العامة عام ١٩٥٨م أي بعد ست سنوات من وقوع الحادث.

كان الحصول على الثانوية العامة نهاية مرحلة هامة في حياة الشاب فإما أن يكمل دراسته الجامعية أو يتجه إلى التدريس حيث كان عدد المدرسين في القطاع قليل مع تنامي أعداد الطلاب المقبلين على الدراسة سواء في مدارس الوكالة أو الحكومة.

العمل

حين أنهى أحمد الثانوية العامة وجد طريق الذهاب إلى مصر أمامه مسدودة سواء لحاله الصحية أو لحالته المادية، لذلك فقد اتجه محاولاً الحصول على عمل وقد كان المجال مفتوحاً سواء في مدارس وكالة الغوث أو مدارس الحكومة وقد اتجه أولاً إلى مدارس الوكالة التي كان العمل فيها مغرياً أكثر إذ كانت المرتبات أعلى ثم إن الإجازات الصيفية أطول ولكن يقول أحمد بن يوسف في كتابه الشيخ أحمد ياسين الظاهرة المعجزة وأسطورة التحدي «ولكن خط الشيخ لم يواته للعمل في مدارس اللاجئين فقد كان (خليل عويضة) مدير التعليم لوكالة الغوث (UNRWA) شيوعياً وكان مساعده فريد أبو ورده شيوعياً أيضاً وبالتالي فقد تربع على كرسي النظارة في مدارس الوكالة شيوعيون أو الذين يسيرون في فلكهم، بل إن أكثر المفتشين كانوا من الشيوعيين أمثال بديع قفه وأوليت الطويل، إذن والحال هذا أين يجد الشيخ أحمد وأمثاله مكاناً لهم في مدارس يشرف عليها الشيوعيون وهو الذي بدأ الناس يتحدثون عن ورعه وتقواه بين زملائه وجده وريادته المسجد وما إلى ذلك، فلم يبق أمامه إذن إلا مدارس الحكومة»[١٢].

قدم الشيخ كبقية خريجي الثانوية العامة من الراغبين في العمل في سلك

التدريس في ذلك العام طلباً إلى مديرية التعليم التي تشرف على تعيين المدرسين[١٣]، وبعد مدة أرسلت اللجنة في طلبه للمقابلة إذ كانت الموافقة على العمل رهن نتيجة المقابلة التي كانت تنظر إلى الأمور الأخرى في شخصية المدرس غير النجاح أو التفوق العلمي وفي يوم اللقاء ذهب الشيخ أحمد وهو يترنح يميناً وشمالاً يقع تارة ويسير أخرى فقابله أحد الشباب المسلم ممن كانوا في سنه فسأله إلى أين ذاهب يا أخي يا أحمد؟ فقال الشيخ أحمد: لمقابلة اللجنة التي تشرف على التعيين فقد دعتني لمقابلتها، فأراد صاحبه أن يوفر عليه مشقة المشوار لأنه يعلم النتيجة مسبقاً إذ أن وضع الشيخ الصحي وحده كفيل بأن ترفضه اللجنة حتى ولو كان من أبرز المتقدمين إلي اللجنة فقال له: وهل تتصور أن اللجنة ستوافق على تعيينك؟

لقد كانت التعيينات تتم في تلك المرحلة بتوصية من اللجنة، لذا فقد كان إرضاء اللجنة ضرورياً والشيخ لم يأخذ هذه الخطوة وإرضاء اللجنة يعني تقديم بعض المبالغ لهذا أو ذاك، لذا فقد نصحه الشاب الذي قابله بأن يوفر على نفسه شقاء الرحلة ويعود من حيث أتى لأن النتيجة معروف[١٤].

فرد عليه الشيخ أحمد رداً دل على بناء إيماني متماسك قائلاً: «يا أخي وهل تتصور أنني ذاهب للجنة لكي أستعطفها لا والله فأنا مسلم وأثق أن الله إذا أراد لي التعيين فلن يتمكن بشر من قطع رزقي، ألم تقرأ قول الله تعالى: «وفي السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون» ثم هل فاتك حديث رسول الله «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ما نفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء ما ضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» والله إنني واثق من أن الله تعالى لن يخيبني فأنا متوكل عليه وماض في سبيله»[١٥].

وأكمل الشيخ طريقه وانتظر دوره ودخل على اللجنة المكونة من:-

١- بشير الرئيس مدير إدارة التربية والتعليم.

٢- محمود شهاب المستشار الثقافي للحاكم العام ورئيس البعثة المصرية التعليمية في قطاع غزة وناظر مدرسة فلسطين الثانوية.

٣- رامز فاخره مفتش اللغة العربية ومدير التعليم فيما بعد.

كان ترتيب الشيخ في المجموعة التي تقدمت لوظيفة مدرس اللغة العربية من العشرة الأوائل[١٦] وقد رأت اللجنة أن قدرات الطالب ممتازة ودرجاته مرتفعة إلا أنها سجلت ملاحظة في الكشف المرفوع إلى الحاكم الإداري العام أنه «أعرج» وكانت هذه كافية بإخراجه من القائمة لكن قدر الله كان أرحم بالشيخ من إرادة البشر إذ كان للحاكم العام الفريق أحمد سالم ولداً صغيراً أعرج وقد أثرت هذه الملاحظة في نفسه فصاح معلقاً أمام مقدم اللائحة باللهجة المصرية: «وإيه يعني أعرج! يعني ما يشتغلش يعني يموت م الجوع»[١٧] وأشر بقلمه الأحمر أمام اسم الشيخ أحمد ياسين خاصة له بكلمة «يعين» ثم أمر بتعيين الباقين وقد فعل ذلك الحاكم العام ليتأكد من أن هذا الأعرج لا بد وأن يعمل وأن كلمة يعين أمام اسمه لتأكيد رغبة الحاكم في ذلك وحتى يقطع الطريق أمام الذين لا يريدون هذا الرجل في سلك التدريس، وهكذا كان فأصبح الشيخ أحمد مدرساً براتب قدره عشرة جنيهات مصرية في كل شهر في مدرسة الرمال الابتدائية التي كانت تحت إدارة المرحوم محمد محمود الشوا.

ولما كانت إدارة التعليم تمرر المدرس بفترة ثلاثة شهور تجريبية في التدريس فقد اضطر أهله إلى الإنفاق عليه طيلة هذه المدة وعندما استلم راتبه حاول رد المبلغ إلا أن إخوته رفضوا ذلك.